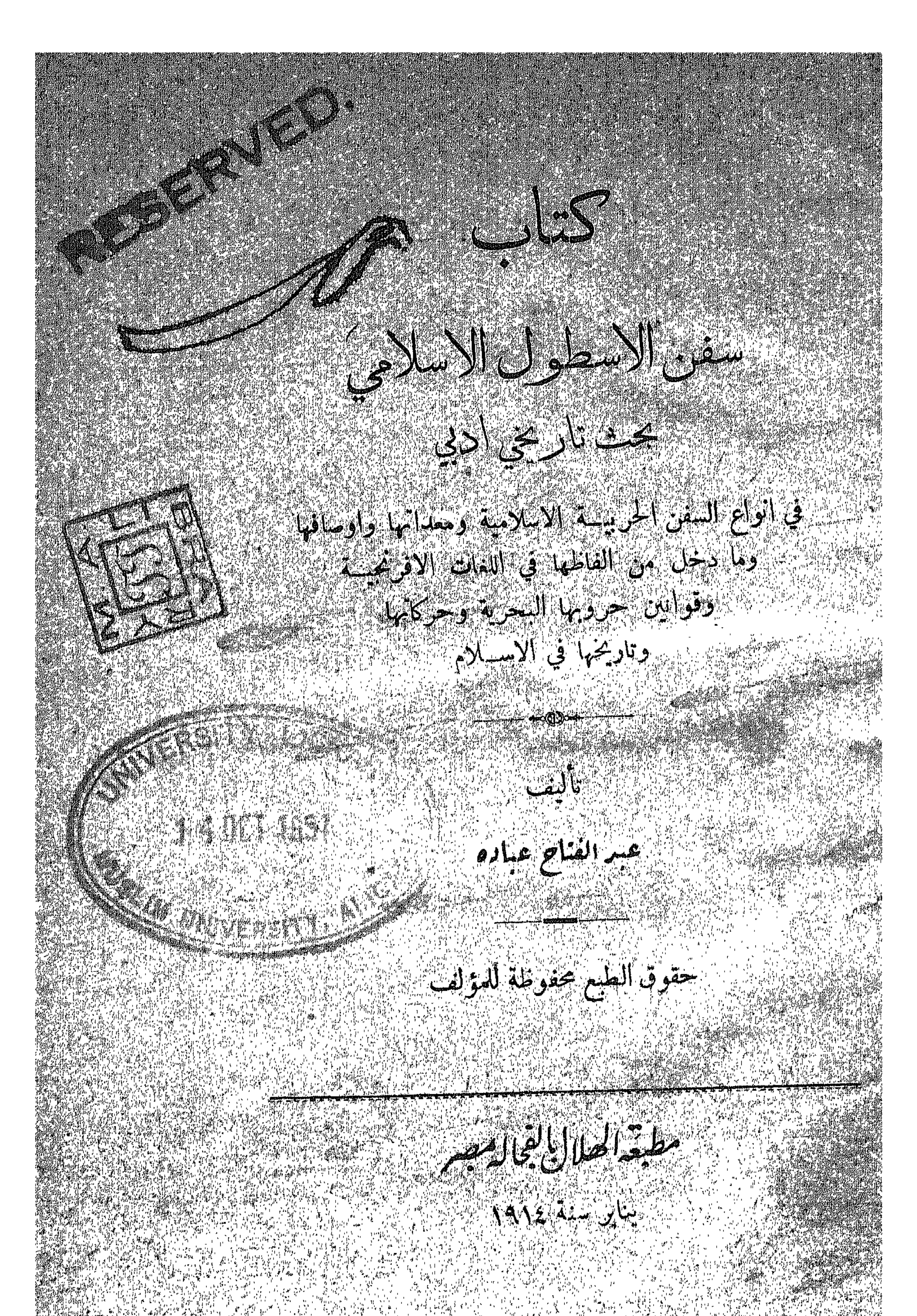


كتاب

سفن الاسطول الاسلامي

بحث تاريخي ادبي

في انواع السفن الحربية الاسلامية ومعداتها واوصافها
وما دخل من الفاظها في اللغات الافرنجية
وقوانين حروبها البحرية وحركاتها
وتاريخها في الاسلام

تأليف
عبد الفتاح عباده

مطبعة الهلال بالفجالة بمصر
يناير سنة ١٩١٤

كتاب

سفن الاسطول الاسلامي

وانواعها ومعداتها

في الاسلام

تأليف

عبد الفتاح عبادة

مطبعة الهلال بالفجالة بمصر
سنة ١٩١٣

مقدمة

كان من أسباب البحث فى هذا الموضوع أنه وردت سماء بعض سفن الاسطول الاسلامي فى درس من دروس الجامعة (المصرية) فتاقت انفسنا الى اوصاف هذه السفن ومعداتها فاخذت على عاتقى البحث والتنقيب عنها. فطرقت ابواباً كثيرة فى هذا الموضوع ما كنت اقصدها. هذا وقد طلب مني اخواني من طلبة الجامعة نشرها بعد ان حاضرتهم فلبيت طلبهم ونشرتها فى مجلة الهلال الغراء فى مقالات متتابعة فى أعداد سنتها الحادية والعشرون. وقد جمعتها على حدة رغبة فى تعميم النفع وزيادة الفائدة وأضفت اليها من الزيادات والملحقات ما فاتني ذكره. وها أنا اقدمها لقراء العربية راجياً ان تروق لديهم وتنال قبولهم ؟

عبد الفتاح عبادة
طالب بالجامعة المصرية

(المصادر) قد رجعت في بحثي هذا الى المقريزي (الخطط والآثار في مصر والقاهرة والنيل) والمكتبة الصقلية Biblioteca Arabo Sicula التي جمعها ونشرها المسيو ميشيل اماري سنة ١٨٥٧ وكتاب الالفاظ الايطالية المشتقة من اللغة العربية Le Parole italiane derivate dall'Arabo للاستاذ لويجي رنالدي Luigi Rinaldi طبعت في نابلي سنة ١٩٠٦. ومحاضرات بقايا العرب في فرنسا وسويسرا التي القاها احمد زكي باشا في نادي موظفي الحكومة بالاسكندرية. وتاريخ التمدن الاسلامى لصاحب الهلال. وكتاب حقائق الاخبار عن دول البحار لاسماعيل سرهنك باشا. وقاموس دوزي العربي R. Dozy Supplément aux Dictionnaires Arabes ودائرة المعارف العربية للبستاني وتاريخ السلاطين المماليك للمقريزي الذي ترجمه وعلق عليه بالفرنسية الاستاذ كاترمير Makrizi, Histoire des Sultans Mamlouks de L'Egypt Traduit par M. Quatremere وغير ذلك مما سنشير اليه في مواضعه



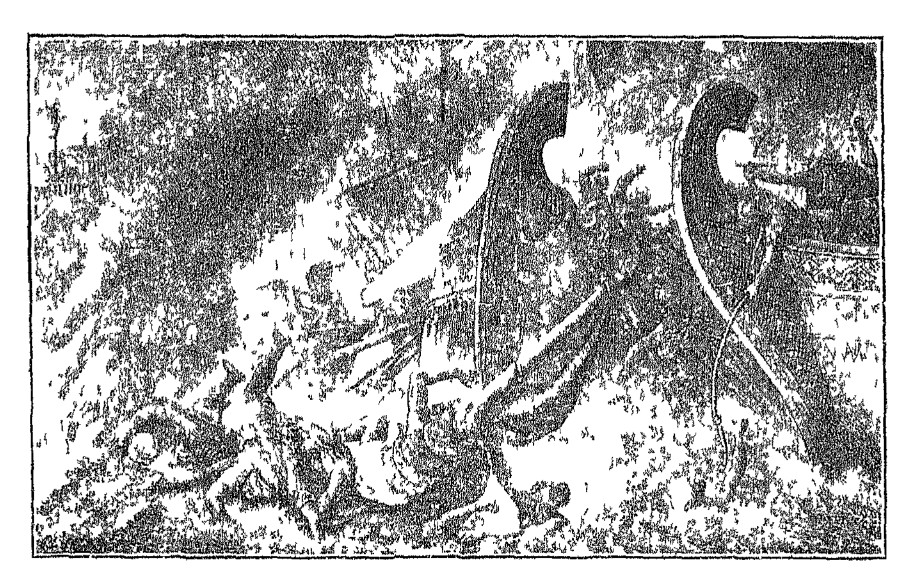
من الاسطول الاسلامي

وانواعها ومعداتها

في عهد الدولة الفاطمية وما بعدها

(تمهيد) يستفاد من كلام المقريزي ان السفن والمراكب البحرية كانت على قسمين : حربية ونيلية

فالحربية هي التي كانت تبنى لغزو العدو وتشحن بالسلاح وآلات الحرب والمقاتلة فتمرُّ من ثغر الأسكندرية وثغر دمياط وتنس والفرما الى الحرب وجهاد الروم والافرنج وغيرهم . . وكان يقال لمجموع هذه السفن الحربية عند العرب « الاسطول » وهو معرب Stolos اليونانيه



(ش ١) اسطول عربي يحارب الروم

وأما المراكب النيلية فانها تُبنى لتجري في النيل صاعدة الى أعلى الصعيد ومنحدرة الى مصاب النيل تحمل الغلال والاخشاب وغيرها

وكانت هذه المراكب على انواعها تصنع بدور الصناعه . ويراد « بدار الصناعة » عندهم مانعبر عنه اليوم بالترسانة او الترسخانة وهما منقولتان عن تلك [٤] وكان العرب

(٤) ان الافرنج لما احتلطوا بالمسلمين وافتتحوا بعض البلدان العربيـة ايام الحروب الصليبيه كان

يبنون سفنهم الحربية على امثلة سفن الصين واليونان والرومان لانهم اخذوا هذه الصناعة عن تلك الامم وعدلوها . وكانت هذه السفن تتحرك بالمجاذيف وبعضها تتحرك بالمجاذيف والشراعات معاً . وكان للرومان سفن كثيرة المجاذيف جعلوا فيها على كل مجداف ملاحاً حاملاً درعاً من الفولاذ وترساً مخصوصاً واسلحة اخرى بيضاء . وجعلوا لبعض السفن اشرعة مثلثة ولبعضها اشرعة مربعة . وكان بعض هذه السفن يتركب من طبقة او طبقتين وهكذا كان عند العرب

فالمراكب والسفن الحربية المستعملة في العصر الفاطمي وما قبله وما بعده كانت انواعاً تتفاوت شكلاً وجرماً وقوة : نأتي هنا على اشهرها وما دخل من الفاظها في اللغات الافرنجية

انواع السفن ومعداتها

﴿ الشواني ﴾ او الشواني الحربية جمع شونه او شيني وهي اهم القطع التي كان يتألف منها الاسطول في الدول الاسلامية وفي الدولة الرومانية واعظمها شأناً فيه. وهي اجفان (مراكب) حربية كبيرة كانوا يقيمون فيها ابراجاً وقلاعاً للدفاع والهجوم وكان الرومانيون يجعلون لبعضها ابراجاً مربعة في الوسط ذات طبقات يقف في الطبقة العليا منها العساكر المسلحة بالقسي والسهام وفي الطبقة السفلى الملاحون بالمجاذيف يسيرونها حيث يراد . وتجهز الشواني في ايام الحرب بالسلاح والنفطية والازودة وتحشد بالمقاتلة والجنود البحرية

وجاء ذكر الشواني ووصفها في شعر ابن حمديس الشاعر الصقلي السرقوسي المشهور — قال يمدح ابا يحيي الحسن بن علي بن يحيي من بحر (الخبب) :

انشأتَ شوانيَ طايرةً وبنيتَ على ماءٍ مُدُنا
بيروج قتالٍ تحسبها في شمّ شواهقها قُنَنَا

من جملة ما اقتبسوه عنهم صناعة المراكب كما اقتبسها العرب عن الامم التي قبلهم . وسمى الاسبان دار الصناعة Darcinah واخذتها عنهم سائر امم اوربا. فقال البرتغال Tarcena و Taracena وقال الطليان في اول الامر Darsena ثم Terzana ثم Arzana ثم Arzanale وقال الفرنسيون والانجليز Arsenal واسترد العرب كلمتهم عن الاسبان Tarsanah مصبوغة بلون افرنجي بطريق التركية فقالوا كما قال الترك « ترسانة » بل تركها بعضهم اكثر من الترك انفسهم فقال « ترسخانة » مع ان الطليان لا يزالون الى اليوم يقولون Darsena ولكنهم يريدون بها القسم الداخل في جوف الميناء حيث يربطون السفن المحتاجة للتعمير بعد نزع آلاتها وجهازاتها — ويقال نحو ذلك في لفظ «اميرال » Amiral الافرنجية فانها مأخودة عن « امير البحر » او « امير الماء » العربية. واول من استعمل هذا اللقب في اوربا اهل جنوة وغيرهم من الطليان

ترمي ببروجٍ ان ظهرت لعدوٍّ مخرقةً بطنا
وبنفط ابيض تحسبهُ ماءً وبه تذكي السكنا
ضمنَ التوفيقُ لها ظفراً من هلك عداتك ما ضَمِنا

والشيني ايضاً مراكب حربية لحمل المقاتلة للجهاد . وكان متوسط ما يحمله الشيني الواحد من الرجال يقرب من مائة وخمسين رجلاً . وقال الاستاذ كاترمير نقلاً عن مخطوط عربي في مكتبة الفاتيكان « أما الشيني ويسمى الغراب فانه يجذف بمائة مجذاف وفيه المقاتلة والجذافون » . وظل اسم الشيني معروفاً حتى ايام الدولة العثمانية فكان يطلق فيها على نوع من اهم السفن الحربية

﴿ الحراريق ﴾ جمع حراقة وهي مراكب حربية كبيرة كانوا يحملون فيها مكاحل البارود[1] والعرادات[2] والمنجنيقات[3] يرمى بها النفط المشتعل على الاعداء فلهذا كانت تسمى كما في قاموس دوزي Dozy « حراقة نفط او حراقة بارود »

والحراقة اقل من الشونة حجماً وتمتاز الحراقة بالمنجنيقات كما تمتاز الشونة بالقلاع . وان كان يرمى من كليهما النفط وقت الحرب (انظر دوزي مادة حراقة) وكان منها انواع تستعمل للنزهة والرياضة والتنقل عند الخلفاء والملوك والامراء في اول العصر العباسي في الاسلام (مثل الذهبية عندنا) . فقد كان للخليفة الامين بن الرشيد خمس حراقات في نهر دجلة على صورة الاسد وعلى صورة الفيل وعلى صورة العقاب وعلى صورة الحية وعلى صورة الفرس انفق في عملها مالاً كثيراً . ذكر ذلك ابو نواس في شعره فقال :

سخر الله للامين مطايا لم تسخر لصاحب المحراب
فاذا ما ركابه سرن برّاً سار في الماء راكباً ليث غاب

---

(١) مكاحل البارود وهي المدافع التي يرمى عنها بالنفط وحالها مختلف . فبعضها يرمى عنها باسهم عظام تكاد تخرق الحجر وبعضها يرمى عنه ببندق من حديد من زنة عشرة ارطال بالمصري الى ما يزيد على مائة رطل (انظر صبح الاعشى ج ١ ص ٣٦٦)

(٢) سيأتي بيانها في الكلام على معدات السفن

(٣) المنجنيق آلة من خشب لها دفتان قائمتان بينهما سهم طويل رأسه ثقيل وذنبه خفيف وفيه تجعل كفة المنجنيق التي توضع فيها الحجر يجذب حتى ترتفع اسافله على اعاليه ثم يرسل فيرتفع ذنبه الذي فيه الكفة فيخرج الحجر او النفط منه . فما اصاب شيئاً الا اهلكه . ومما يلحق بالمنجنيق « الزيادات » وهي اللوالب والحبال التي يجذب بها المنجنيق حتى ينحط اعلاه ليرمي به الحجر او النفط — وهذه الآلة لقذافة أخذها العرب عن الفرس بعد الاسلام وكانت معروفة عند الفينيقيين واليونان والرومان والاسرائيليين وغيرهم من الامم القديمة

عجب الناس اذا رأوك عليه   كيف لو ابصروك فوق العقاب
ذات سور ومنسر وجناحيـ   ـن تشق العباب بعد العباب

والحراقة بهذا المعنى تشبه المركب التي تسمى بالعقبة في مصر في ايام المماليك وما بعدهم الى الآن

﴿ الطرائد ﴾ جمع طريدة (وذلك خلاف الطراد وجمعه طرادات) والطرائد هي السفن الخصوصية لحمل الخيل للاسطول . وفي المخطوط العربي المحفوظ بالفاتيكان : « اما الطريدة فانها برسم حمل الخيل واكثرها يحمل فيها اربعون فرساً » . وقد اخذ الافرنج هذا الاسم فقال الاسبان Tarida وقال الطليان Tartana وقال الفرنسيون Tartan ولكن للدلالة على سفائنها الشراعية التي تمخر في البحر الابيض المتوسط غرباً

﴿ الطرادات ﴾ جمع طراد او طرادة وهي سفن حربية صغيرة الحجم سريعة الجري لم تزل معروفة الى الان — والطرادات في البحرية العثمانية انواع . وهي من السفن غير المدرعة فمنها الطراد الطوربيدي والطرادات ذات الرفاس وطرادات درجة اولى وطرادات درجة ثانية . وهناك انواع كثيرة من الطرادات في بحريات الدول الاوربية

﴿ القراقير ﴾ جمع قرقور وهي السفن العظيمة التي تحمل الزاد والكراع والمتاع للاسطول . ونسميها الآن « النقالات Transports » وقد اخذ البرتقاليون هذا الاسم فقالوا في تسمية هذه السفينة Carcora واخذ الطليان هذا اللفظ فقالوا Caraca وقال الفرنسيون Carraque وقد اخذنا هذا اللفظ في هذا العصر عن الايطاليين فقلنا « كراكة » ولكن بمعنى آخر لنوع آخر من السفن التي تستعمل لنزع الطين والرمال من قاع النهر والخلجان والمواني

﴿ الشانديات ﴾ ومفردها شلندي وهي مراكب حربية كبيرة مسطحة لحمل المقاتلة والسلاح وتعادل في الاهمية الشونة والحراقة . والشلندي في اللاتينية Chelandium واخذه الروس فقالوا Schelando وقال الطليان Scialando والفرنسيون Chaland واسترجعناه منهم بطريق التعريب فقلنا « صندل » وأصبح هذا الاسم بتحريفاته عندهم وعندنا علماً على السفائن المخصصة لنقل البضائع . أي اصبح الصندل عندنا يدلّ على نوع من المواعين جمع ماعونة المستعملة الآن عندنا في ثغور مصر . وقد كانت معروفة في الاساطيل الاسلامية الى زمان الدولة العلية فقد كانت الماعونة من اهم سفنها الحربية . وقد اخذ الافرنج لفظ ماعونة فقال فيها الفرنسيون Mahunue وقال الطليان Maona و Mahuna و Magana (انظر رينالدي ص ٧٣)

﴿ العشاريات ﴾ جاء في تعريفها انها مراكب يسار بها في النيل . ويؤخذ من كلام المقريزي نقلاً عن ابن الطوير انها من توابع الاسطول . وهي انواع منها ما هو خاص برسم الخليفة وهي الدواميس (ومفردها ديماس) يخرج بها ايام الخليج وغيرها . ومنها ما هو برسم ولاة الاعمال وهي بقية العشاريات الدواميس . وللمشارفين بالاعمال (المفتشين) عشاريات دون هذه

﴿ الاغربة ﴾ جمع غراب وهي من اقدم انواع السفن الحربية كانت معروفة عند القرطاجيين والرومان وغيرهم ولم تزل معروفة حتى ايام الدولة العثمانية ولم يتغير شكلها فكانت تسمى فيها بالغراب أو (القدرغة) وكانت من اشهر انواع سفنها الحربية. ويظهر ان اسمها مأخوذ من اسم الغراب لان القدماء كانوا يصنعون بعض سفنهم على اشكال الطيور فيجعلون رأس السفينة او مقدمتها على شكل رأس الغراب أو شكل طير من الطيور تفاؤلاً أو اشارة الى انه في الماء كالطيور في السماء

﴿ الشبّاك ﴾ من توابع الاسطول . قال دوزي في قاموسه الشباك مراكب حربية صغيرة الحجم تستعمل عادة في البحر الابيض المتوسط . ويقال فيها شُبّاك وشَبّاك . وقد اخذ الافرنج هذا اللفظ فقال الاسبان Jabeque وقال البرتقال Xabeca وقال الفرنسيون Chebec وقال الطليان Sciabecco وZambecco (انظر رينالدي ص ٩٤)

﴿ الفلائك ﴾ جمع فلوكه وهي من توابع الاسطول وقد اخذ الافرنج هذا الاسم فقال الاسبان Falua وقال الطليان Filuca أوFeluca وقال الفرنسيون Filouque (انظر رينالدي ص ٦٤)

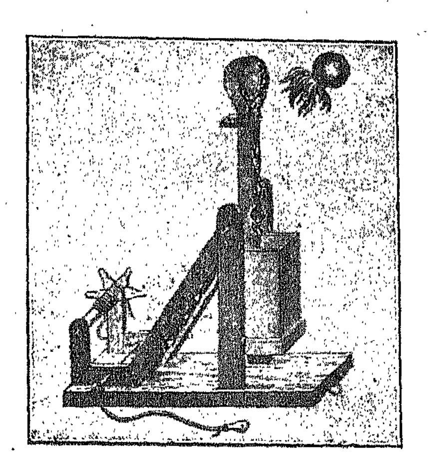
﴿ القوارب ﴾ جمع قارب وهي من توابع الاسطول اخذه الافرنج فقالوا Corvette من اللفظ المفرد وهو قارب (وربما يصح القول بانهم اخذوه من غراب) . وهي انواع ومنها قوارب الخدمة . والقوارب معروفة في مصر من اول الاسلام وقد وردت في كتاب عمرو بن العاص الذي يصف فيه مصر

﴿ الحمالات ﴾ جمع حمالة وهي المراكب الحربية الحمالة برسم الازواد للرجال ويكون فيها غلمان الخيالة وصناع المراكب . وغير ذلك من السفن التي تحمل آلات الحرب والحصار من الاخشاب الكبار والدبابات وابراج الزحف وغير ذلك

وهناك سفن أخرى لاغراض أخرى مثل « البطس » جمع بطسة و « البروكوشات » أو البروكوس و « الاعواديات » و « الاغراري » و « المسطحات » جمع مسطح . سوى ما ينضاف الى الاسطول من « العلابيات » و « الحمائم » و « السنابيك » وغيرها مما سنأتي عليها بعد

معدات السفن الحربية

وكان من معدات السفن الحربية عندهم : الرماح والعصي والتراس والزرد والدرق والخود . والعرادات واحدها عرادة وهي اصغر من المنجنيق ترمي بالحجارة والسهام المرمى البعيد . قيل هي من التعريد بمعنى العدو . وقد تستخدم لرمي قدور



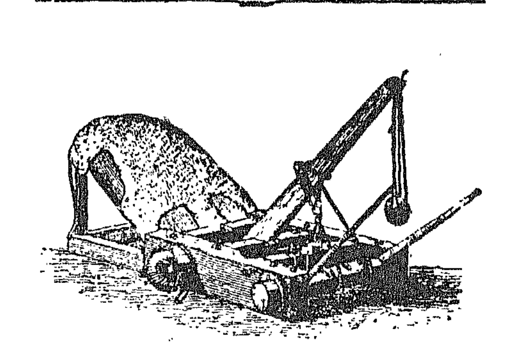
منجنيق لرمي النفط

النفط أو العقارب أو نحوها من آلات الاذى . فان كانت المقذوفات خفيفة ثقلوها بالرصاص وان كانت من السوائل كالنفط ونحوه اتخذوا لها كفة كالكاس علقوها بسلاسل . والبساليقات وهي سلاسل في رؤسها رمانة حديد . والكلاليب وفائدتها انهم اذا دنوا من أحد مراكب العدو القوا الكلاليب عليه فيوقفونه ثم يشدونه اليهم ويرمون عليه الالواح كالجسر ويدخلون اليه ويقاتلون واذا كان العدو قويا ابطل فعل الكلاليب بفاس ثقيل من فولاذ يضربون به الكلاليب فتنقطع

وكانوا يجعلون في اعلى السواري صناديق مفتوحة من اعلاها يسمونها التوابيت يصعد اليها الرجال قبل استقبال العدو فيقيمون فيها للكشف ومعهم حجارة صغيرة في مخلاة معلقة بجانب الصندوق يرمون العدو بالاحجار وهم مستورون بالصناديق وقد يكون مع بعضهم بدل الحجارة قوارير النفط للاشعال (وهي قدور ونحوها يجعل فيها النفط ويرمى بها على السفن والقلاع للاحراق) أو جرار النورة وهو مسحوق ناعم من مزيج الكلس والزرنيخ يرمون بها مراكب الاعداء فتعمي الرجال بغبارها وقد تلتهب عليهم اذا تبددت . او يرمون عليهم قدور الحيات والعقارب او قدور الصابون اللين فانه يزلق اقدامهم

وكانوا يعلقون حول المراكب من الخارج الجلود او اللبود المبلولة بالخل او الماء والشب والنطرون لدفع اذى النفط . وقد يحتاطون لذلك بالطين المخلوط بالبورق والنطرون أو الخطمى المعجون بالخل فان هذه المواد تقاوم فعل النفط . وكان من احتياطاتهم في اثناء الحروب البحرية انهم اذا جن الليل لا يشعلون في مراكبهم ناراً ولا يتركون فيها ديكاً . واذا ارادوا المبالغة في الاختفاء سدلوا على المراكب قلوعاً زرقاً فلا تظهرعن بعد . وهذه القلوع كانوا يسمونها الستاير وهي آلات الوقاية من الطوارق وما في معناها مما يستتر به على الاسوار والسفن التي يقع فيها القتال

كانوا يجعلون في مقادم المراكب اداة كالفأس يسمونها « اللجام » وهي حديدة طويلة محددة الراس جداً واسفلها مجوف كسنان الرمح تدخل من اسفلها في خشبة كالقناة بارزة في مقدم المركب يقال لها « الاسطام » فيصير اللجام كانه سنان رمح بارز من مقدم المركب فيحتالون في طعن المركب به . فاذا اصاب جانب المركب بقوة خرقه حتى يخشى غرقه بما ينصب فيه من الماء فيطلب اصحابه الامان [1] وسيأتي شيء من ذلك في وصف حروبهم



(ش ٣) منجنيق لرمي الحجارة او النفط

(١) اثار الاول في ترتيب الدول للحسن بن عبد الله بتصرف

توابع الاسطول الاسلامي

ووصف الحروب البحرية وقوانينها في الاسلام

اتينا فيما تقدم على وصف كثير من سفن الاسطول الاسلامي وانواعها ومعداتها في عهد الدولة الفاطمية وما بعدها ونلحقه الآن بذكر بقية انواعها وملحقاتها وما يتبعها من السفن الصغيرة والكبيرة في الاسلام تلك السفن التي كانت كنائن الا انها تمرق مروق السهام ورواكد هي مدائن الا انها تمر مر السحاب غير الجهام فلا عجب ان تسمى غرباناً وتنشر من ضلوعها اجنحة الحمام وتسمى جواري . وكم كان يسير مجراها من النصر . وهذه السفن المقيرة المسمرة غير المخروزة المدهونة والمسطحة غير ذوات الجآجئ التي اول من اجراها في البحر الحجاج بن يوسف [1] وان كانت تجيء في المرتبة الثانية من المكانة الا ان حاجة الاسطول اليها شديدة . وكلمة « الاسطول » لا تطلق فقط على مجموع السفن الحربية كما سبق بل تطلق ايضاً على السفينة الواحدة الحربية قال صاحب شفاء الغليل : والاسطول مركب تهيأ للقتال ونحوه قال البحتري

يسوقون اسطولا كان سفينه سحائب صيف من جهام وممطر

ويرد ذكرها كثيراً في تاريخ ابن خلدون بهذا المعنى في عدة مواضع فيقول في موضع منها « وصله من مرية بعشرة اساطيل » وفي موضع آخر « جهز له مائة وثمانين اسطولا » و « اساطيلهم تناهز اربعمائة » الخ

ونبتدئ الان بالكلام على اهم السفن الحربية في الاساطيل الاسلامية وهي :

السفن وتوابعها

﴿ البطس ﴾ جمع بطسة وقد يحرفونها الى بطشة او بسطة وهي سفن حربية بحرية عظيمة الحجم كثيرة القلوع وصل عدد القلوع في البطسة الواحدة الى اربعين قلعاً مما يدل على اتساعها وهول منظرها . وقد اشتهر هذا النوع من السفن على الخصوص في ايام الحروب الصليبية وكانت البطس اشهر انواع سفنهم التي كانوا يتقاتلون عليها في ذلك الزمان لكبر حجمها . ويستخدمونها في نقل الازواد والذخيرة فيشحنونها وقت الحرب بالآلات والاقوات والميرة والرجال والمقاتلة والاسلحة وجميع ما يحتاج اليه في الحروب والحصار فتحمل البطسة الواحدة من المقاتلة خلقاً عظيماً

---

(١) الاعلاق النفسيه لابن رسته ص ١٩٥ و ١٩٦ من طبعه ليدن

يعد بالآلاف . وكانوا يجعلون لها اسطحة عالية يضعون فيها الميرة والاقوات غالباً وكان لبعضها طبقات كل طبقة خاصة بفئة من الجيش تفرش بالبسط وغيرها . وذكروا في التواريخ الافرنجية ان البطسة الهائلة التي كانت لملك المانيا في الحروب الصليبية كانت تسمى لعظمها وتناهيها في الكبر « نصف الدنيا » . ومن اشهر حيلهم في المقاتلة بالبطس ما ذكروه عن محاصرة الافرنج لبرج الذباب الذي كان قائماً وسط البحر وارادوا اخذه فجعلوا على سواري البطس برجا ملاوه حطباً على ان يسيروا البطس حتى اذا لاصقت برج الذباب احرقوا البرج الذي على الصاري والصقوه ببرج الذباب ليلقوه عن سطحه ويقتل من عليه من المقاتلة ويأخذوه . وجعلوا في البطسة وقوداً كثيرة تلقى في البرج اذا اشتعلت النار فيه . وعبوا بطسة ثانية وملأوها حطباً ووقوداً على ان يدفعوا بها حتى تدخل بين البطس الاسلامية ثم يلهبونها فتحترق هذه البطس ويهلك ما فيها من الميرة . وجعلوا في بطسة ثالثة مقاتلة تحت قبو بحيث لا يصل لهم نشاب ولا شيء من آلات السلاح . حتى اذا احرقوا ما ارادوا احراقه دخلوا تحت ذلك القبو فامنوا وقدموا البطس نحو البرج المذكور وكان طمعهم يشتد حيث كان الهواء مصعداً لهم . فلما احرقوا البطسة التي ارادوا ان يحرقوا بها من على برج الذباب واوقدوا النار وضربوا فيها النفط انعكس الهواء عليهم [1] واشتعلت البطس باسرها واجتهدوا في اطفائها فما قدروا وهلك من كان فيها من المقاتلة [2] وحاول الافرنج اخذ ذلك البرج مرة اخرى فاعدوا في البحر بطسة هائلة وضعوا فيها برجا بخرطوم اذا ارادوا قلبه على السور انقلب بالحركات ويبقى طريقاً الى المكان الذي ينقلب عليه تمشي فوقه المقاتلة وعزموا على تقريبه الى برج الذباب ليأخذوه به

﴿ البوارج ﴾ جمع بارجة وهي كلمة هندية عربها العرب عن لفظة « بيره » التي هي الى اليوم في اللغة الهندستانية « بيرا » [3] والبارجة سفينة حربية عظيمة اكبر من الشونة او هي الشونة الغظيمة . وقد استعمل العرب لفظة بارجة كأنها عربية ينعتبها فيقال سفينة بارجة بمعنى سفينة مكشوفة . وقد اخذ العرب البوارج عن الهنود بعد الاسلام فكانوا يقاتلون عليها ويقاتلون بها . من ذلك ما جرى في ايام

(١) سيأتي في وصف الحروب البحرية شيء من تأثير الرياح واهميتها في حروبهم البحرية

(٢) انظر سيرة صلاح الدين الايوبي لابن شداد

(٣) الراء في الاصل هندية فوقها اربع نقط تنطق بين الراء والغين وهي ثالثة الحروف الهندية التي يزيدها الهنود على حروف الهجاء العربية (انظر كتابنا انتشار الخط العربي العالم الشرقي والغربي)

المعتصم فقد اغار الهنود ببوارجهم على شواطىء فارس الجنوبية وما يجاورها من شواطىء بلاد العرب فحاربهم المعتصم واسر بوارجهم . ذكر ذلك المسعودي في كتابه التنبيه والاشراف عند كلامه على المعتصم وان له ثماني فتوح منها قوله «واسره البوارج وهي مراكب الهند وكان فيها منهم عسكر عظيم قد غلبوا على ساحل فارس وعمان وناحية البصرة » وذكر البوارج الطبري في حوادث سنة ٢٥١ هـ — ٨٦٥ م فقال ما نصه : « ولخمس بقين من صفر دخل من البصرة (الى بغداد) عشر سفائن بحرية تسمى البوارج . في كل سفينة اشتيام [1] وثلاثة نفاطين ونجار وخباز وتسعة وثلثون رجلا من الجذافين والمقاتلة فذلك في كل سفينة خمسة واربعون رجلا » فالعرب لم تعرف البوارج الا بعد ان اختلطوا بالهنود لما افتتحوا السند وغيرها في القرن الاول للهجرة وكانت ولاة السند من المسلمين في ذلك العهد تستعمل البوارج في الفتوح وفي محاربة الاعداء من الهنود — انظر فتوح البلدان للبلاذري صحيفة ٤٣٥ و ٤٤٥ و ٤٤٦ من طبعة اوربا

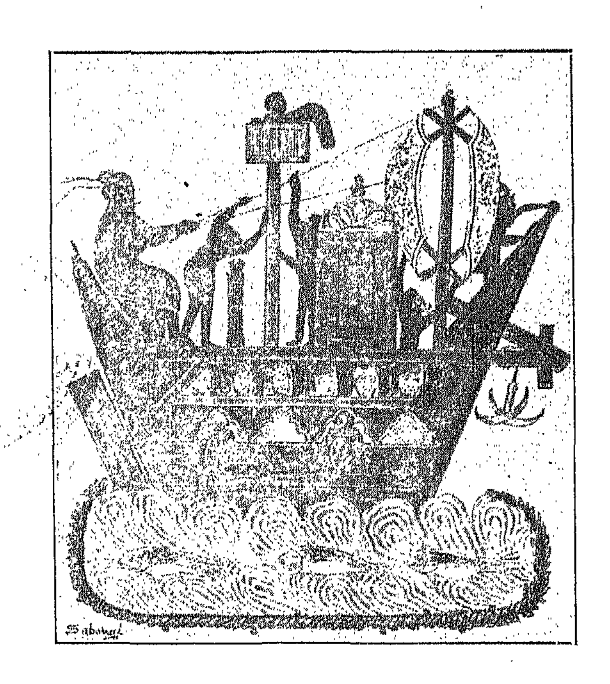
﴿ المسطحات ﴾ جمع مسطح وهي نوع من المراكب الحربية العظيمة . وقد اقتبس بعض الافرنج لفظة مسطح فقال الاسبانيون والبرتغال Mestech, Mistico والمسطحات والبطس اكبر السفن الاسلامية واعظمها حجماً . وسترى انهم كانوا يأتون بها وقت الحرب خلف المراكب الصغار خوفاً من ان تغرق هذه في واديها

﴿ الشذويات والسميريات ﴾ الشذوات او الشذا مفردها شذاة والسميريات مفردها سميرية . ضرب من السفن البحرية والنهرية التي كانت تتخذ في الحروب في عهد الدولة العباسية وقد اشتهرت في حروب الزنج باوائل النصف الثاني من القرن الثالث للهجرة كما اشتهرت البطس في الحروب الصليبية . وكانوا يحملون في الشذوات والسميرت آلات الحرب والسلاح والمقاتلة والرماة والملاحين المسلحين بانواع السلاح . قال الطبري

---

(١) الاشتيام او الاستيام في هذا المعنى هو كبير البارجة الحربية ويقابله بالفرنسة Commandant d'un navire de guerre وهذا هو المعنى الاصلي لهذه الكلمة . فان الاشتيام كان لرئيس الملاحين الموجودين في سفينة واحدة وفي عدة سفن حربية كانت او تجارية بحرية او نهرية او لرئيس السفن البحرية الذي بيده الامر والنهي وكل مايتعلق بسير السفينة ثم لامير نوع من السفن البحرية الحربية مثل امير الشذوات (وسيأتي ذكرها) اي بمعنى اميرال Amiral بالفرنسية ثم اصبح الاشتيام بمعنى رئيس الركاب والملاحين معاً ثم صار بمعنى صاحب الامتعة المحمولة في السفينة اي ناظر الامتعة وهذا المعنى فرعي (انظر مقالة الاستاذ ساتسانا Satsana في المقتبس مجلد ٧ ص ٢)

في حوادث سنة ٢٦٧ هـ ما نصه : « وكتب سليمان الى صاحب الزنج يسأله امداده بسميريات لكل واحدة منهن اربعون مجذافاً فوافاه من ذلك في مقدار عشرين يوماً اربعون سميرية في كل سميرية مقاتلان ومع ملاحيها السيوف والرماح والتراس » وكان امير البحر يتشاغل اياماً قبل الحرب بعرض الشذا وما يلحقها من الشذوات الجنابيات والسميريات وترتيب قواده ومواليه وغلمانه فيها وتخير الرماة ترتيبهم في الشذا والسميريات وكانوا وقت الحرب اذا استأمنت شذاة من شذوات العدو كان اهلها ينكسون علماً ابيض يكون معهم (١) وهذه هو علامة الامان عندهم



سفينة عربية جلس ربانها على دكة الى اليسار ليدير الشراع بالامراس وفي وسطها مقعد مرتفع يجلس عليه الديدبان . وهذه الصورة منقولة عن مسودات مقامات الحريري في مكتبة المستشرق شيفر تمثل اسفار العرب في البحار لذلك العهد

ولما انقطع العهد بالمحاربة على الشذوات والسميريات في اواخر الدولة العباسية اصبح القوم يركبون السفن المذكورة لغاية التجارة او السفر فقط

---

(١) الطبري ص ٢٦٧ سلسلة ٣ ج ٤

﴿ العكيري ﴾ وقد ضبطه ابن بطوطة في رحلته فقال وهو بضم العين المهملة وفتح الكاف وسكون الياء وراء وهو شبه الغراب الا انه اوسع منه وفيه ستون مجذافاً ويسقف حين القتال حتى لاينال الجذافين شيء من السهم ولا الحجارة . وهذا النوع من السفن كان يستعمل كثيراً في نهر السند وافرعه الكبيرة

﴿ العشيري ﴾ اتينا فيما تقدم على نوع من السفن الحربية وهو العشاريات ومفرده العشاري او العشيري وقد وصفه عبد اللطيف البغدادي المؤرخ المشهور في سياحته الى مصر في اواخر القرن السادس للهجرة فقال « واما سفنهم فكثيرة الاصناف والاشكال واغرب ما رأيت فيها مركب يسمونه (العشيري) شكله شكل شبارة (١) داخله الا انه اوسع منها بكثير واطول واحسن هنداماً وشكلاً قد سطح بالواح من خشب ثخينة محكمة واخرج منها افاريز كالرواشن نحو ذراعين وبني فوق هذه السطح بيت من خشب وعقد عليه قبة وفتح له طاقات وروازن بابواب الى البحر من سائر جهاته ثم تعمل في هذا البيت خزانة مفردة ومرحاض ثم يزوق باصناف الاصباغ ويذهب ويدهن باحسن دهان . وهذا يتخذ للملوك والرؤساء بحيث يكون الرئيس جالساً على وسادته وخواصه حوله والغلمان والمماليك قيام بالمناطق والسيوف على تلك الرواشن واطعمتهم وحوائجهم في قعر المركب والملاحون تحت السطح ايضاً وفي باقي المركب يقذفون به لا يعلمون شيئاً من احوال الركاب ولا الركاب تشتغل خواطرهم بهم بل كل فريق بمعزل عن الآخر ومشغول بما هو بصدده واذا اراد الرئيس الاختلاء بنفسه عن اصحابه دخل المخدع واذا اراد قضاء حاجته دخل المرحاض . والملاحون بمصر يقذفون الى ورائهم فهم في قذفهم يشبهون الحبالين في مشيهم القهقرى ويشبهون في تحريكهم السفن من يجذب ثقلاً بين يديه ويمشي به الى خلفه . واما ملاحو العراق فهم بمنزلة من يدفع الثقل نحو امامه ويدسر به فسفنهم تتوجه حيث الملاح متجه واما سفن مصر فهي تتحرك الى ضد الجهة التي اليها الملاح متوجه واما اي الحالتين اسهل

(١) الشبارة نوع من السفن العراقية التي كانت تستعمل في نهر دجلة . قال دزي « ويسمونها في مصر حراقة وهذه الكلمة تستعمل الى الآن في العراق . واشار اليها البارون دي سلان في ترجمته لابن خلكان ج ١ ص ١٧٥ وتوفي (ارسلان شاه) في شبارة بالشط ظاهر الموصل والشبارة بالشين المعجمة مفتوحة والموحدة مشددة بين الالف والهاء راء وهي عندهم الحراقة عند اهل مصر » وذكروا ان السفن التي كانت تخص المأمون سوى سفن العسكر اربعة آلاف شبارة كباراً وصغاراً

والبرهان عليها فموضعه العلم الطبيعي وعلم تحريك الاثقال (١)

الحروب البحرية وقوانينها في الاسلام

كان من اوصاف الحروب البحرية بين السفن وقوانينها عندهم حتى اوخر دولة المماليك البرجية والبحرية في مصر : انه اذا كانت الحرب بين الشواني وبين البطس والمسطحات فانهم لا يأتون بالشواني ولا بالمراكب الصغيرة خلف البطس والمسطحات لئلا تغرق في واديها ولا يأتون بها من جانبها فانها لا يمكنها الالتصاق بها بل تقابلها عن بعد وتشطحها بالفاس الذي يقال له اللجام المار ذكره فيدخل عند الحرب في اسطام المركب وهي الخشبة التي في مقدم الشيني . واذا امكنتهم الفرصة تأخروا به قليلاً ثم قذفوا قذفة واحدة قوية فينطح المركب ويدخل الماء فيه واذا كانت الحرب بين الشواني وبعضها تقرب الشيني من الشيني فتوقفه ثم يطرح الالواح بينها كالجسر ويدخلون اليه ويقاتلون وقد تقدم في وصف الكلاليب ان العدو اذا كان قوياً ابطل فعلها بفأس ثقيل من فولاذ يضربونها به فتنقطع

وكانت المراكب الكبار ان سكنت الريح عنها جذبتها الشواني الى موضع القتال . وكان الاصل عندهم في قتال البحر هو معرفة الرياح فكانوا يحركون المراكب بالارجل حتى يتقدم مركب خصمه او يعلو عليها فوق مهب الريح

وكان على والي حرب البحر اذا خرج للقتال ان يستجيد المراكب ويستجدها ويكثر تقويتها وادخار آلاتها حتى اذا تلف شيء من ذلك وجد ما يخلفه ويحتاط في تقييرها واحكام ما يلاقي الماء منها فانه الاصل الذي يعول عليه ويتخير القواد والرؤساء العارفين بمسالك البحر ومراسيه وعلامات الرياح وتغييرات الانواء والحركات البحرية من المد والجزر . وكان من واجباته وقت الحرب ان لا يهجم على المراسي لئلا تكون مراكب العدو بها كامنة ولا يتقدم الى البر الا بعد المعرفة والاحتراز من الاحجار والعشاب والاحارش التي تنكسر عليها المراكب ويكثر من الماء والزاد ليستظهر على طول المدة ان دعت الحاجة اليه كادخار اصحاب الحصون . وان كان القتال قرب البر والسواحل والجزائر فيجعل عيونه وطلائعه على الجبال فيتأهب لذلك ويفعل مقدم المركب من تأليف اصحابه ووعدهم واستمالتهم وتحريضهم قبل الحرب كما يفعل

---

(١) الافادة والاعتبار في الامور المشاهدة والحوادث المعاينة بارض مصر لعبد اللطيف البغدادي صحيفة ٤١

والي البر وابلغ من ذلك . لان هذا لا منجى منه ولا مخلص الا بصدق القتال اما كاسر او مكسور . . . .

ان الحرب في البحر شديدة صعبة عسرة لامور منها ان المجال ضيق ولا تكاد السهام والاحجار تخطئ وكل رشق ينكى . ومنها اختلاف الرياح بما يضر او سكونها عند وقت الحاجة اليها ومنها انه لايمكن فيه الهرب والفرار ان اقتضت المصلحة ذلك ولا الاستتار . وقد مثل العرب حرب البر وحرب البحر بالشطرنج والنرد فقد قالوا نقلاً عن احد حكماء الفرس ان الشطرنج وضع لتمثيل حرب البر والنرد وضع لتمثيل حرب البحر فان صاحب النرد وان وضع المهارك في المواضع الجيد واحترز فاذا جاءت الفصوص بما لا يوافق الغرض لم ينتفع باحترازه وبطل عليه تدبيره كاختلاف الريح واضطراب البحر قال المتنبي في المعنى :

ما كل ما يتمنى المرء يدركه   تجري الرياح بما لاتشتهي السفن (١)

﴿ حركات الاسطول ﴾ كانت الاساطيل الاسلامية تجري الالعاب والحركات المعروفة الآن بالمناورات البحرية الحربية امام الخلفاء والملوك في الاعياد والمواسم الرسمية وفي وداع الاسطول وسفره الى الحرب وفي عودته منه فكانوا يحتفلون احتفالاً عظيماً يحضره جميع الامراء وكبار الدولة وتشهده الرعية . فكانت الاساطيل تأتي بالالعاب المدهشة فتمثل الحروب البحرية وحركاتها المتقنة وهي مزينة باسلحتها ولبودها وما فيها من المنجنيقات فيرمى بها وتنحدر السفن والمراكب وتقلع وتفعل سائر ما تفعله عند لقاء العدو . وقد وصف ابو بكر محمد بن عيسى لعب الاسطول في يوم المهرجان بجزيرة ميورقة فقال :

بشرى بيوم المهرجان فانه   يوم عليه من احتفائك رونق
طارت بنات الماء فيها وريشها   ريش الغراب وغير ذلك شوذق
وعلى الخليج كتيبةٌ جرارةٌ   مثل الخليج كلاهما يتدفق
وبنو الحروب على الجواريّ التي   تجري كما تجري الجياد السبقُ
ملا الكماة ظهورَها وبطونَها   فأتت كما يأتي السحاب المغدقُ
خاضت غدير الماء سابحةً به   فكأنما هي في سراب أينق
عجباً لها ما خلت قبل عيانها   ان يحمل الأسدَ الضواري زَورَقُ
هزت مجاذيفاً اليك كأنها   اهداب عين للرقيب تحدّقُ

---

(١) آثار الاول في ترتيب الدول للحسن بن عبد الله

وكأنها أقلام كاتب دولة * في عرض قرطاس تخطّ وتمشق (١)

أما في مصر فكانت الخلفاء والسلاطين يجلسون لوداع الاسطول ولعودته ويحضرون بانفسهم تجهيزه فاذا تهيأ للاقلاع ركب الخليفة الى منظرة المقس (محل جامع اولاد عنان الآن) لتوديعه ومشاهدة حركاته باحتفال باهر. قال المقريزي: «وفي سنة اثنين وتسعين وستمائة تقدم السلطان الملك الاشرف صلاح الدين خليل بن قلاوون الى الوزير الصاحب شمس الدين محمد بن السلعوس بتجهيز امر الشواني فنزل الى الصناعة واستدعى الرئيس وهيأ جميع ما تحتاج اليه الشواني حتى كملت عدتها نحو ستين شونة وشحنها بالعدد وآلات الحرب ورتب بها عدّة من المماليك السلطانية والبسهم السلاح فاقبل الناس لمشاهدتهم من كل أوب قبل ركوب السلطان بثلاثة ايام وصنعوا لهم قصوراً من خشب واخصاص القش على شاطئ النيل خارج مدينة مصر وبالروضة واكتروا الساحات التي قدام الدور والزرابي بالمائتي درهم كل زريبة فما دونها بحيث لم يبق بيت بالقاهرة ومصر الا وخرج اهله او بعضهم لرؤية ذلك فصار جمعاً عظيما وركب السلطان من قلعة الجبل بكرة والناس قد ملأوا ما بين المقياس الى بستان الخشاب الى بولاق ووقف السلطان ونائبه الامير بيدر وبقية الامراء قدام دار النحاس ومنع الحجاب من التعرض لطرد العامة فبرزت الشواني واحدة بعد واحدة وقد عمل في كل شونة برج وقلعة تحاصر (٢) والقتال عليها ملح والنفط يرمى عليها وعدّة من النقابين في اعمال الحيل في النقب وما منهم الا من اظهر في شونته عملا معجباً وصناعة غريبة يفوق بها على صاحبه . وتقدم ابن موسى الراعي وهو في مركب نيلية فقرأ قوله تعالى : « بسم الله مجراها ومرساها ان ربي لغفور رحيم » ثم تلاها بقراءة قوله تعالى : « قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء الى آخر الآية هذا والشواني تتواصل بمحاربة بعضها بعضاً الى ان اذن لصلاة الظهر فمضى السلطان بعسكره عائداً الى القلعة فاقام الناس بقية يومهم وتلك الليلة على ما هم عليه من اللهو في اجتماعهم وكان شيئاً يجل وصفه وانفق فيه مال لا يعدّ بحيث بلغت إجرة المركب في هذا اليوم ستمائة درهم فما دونها وكان الرجل الواحد يؤخذ منه اجرة ركوبه في المركب خمسة دراهم وحصل لعدة من النواتية اجرة مراكبهم عن سنة في هذا اليوم وكان الخبز يباع اثنا عشر رطلا بدرهم فلكثرة اجتماع الناس بمصر بيع سبعة ارطال بدرهم فبلغ خبر الشواني

(١) المعجب في تلخيص اخبار المغرب لعبد الواحد بن علي التميمي المراكشي علق عليه الاستاذ دوزي R. Dozy وطبعه في ليدن سنة ١٨٨١ (٢) انظر الكلام على الشواني في الصحيفة الرابعة .

الى بلاد الافرنج فبعثوا رسلهم بالهدايا يطلبون الصلح [1] » انتهى كلام المقريزي . هذا مثال من تهافت الناس وشغفهم وكثرة اجتماعهم لمشاهدة حركات السفن الحربية وهو اعظم شاهد على ما بلغت اليه الاساطيل الاسلامية من الجلالة والعظمة واعتناء الخلفاء والملوك بها . بل بلغ من عنايتهم بها ان دار الصناعة في مصر ما كان يدخلها أحد راكباً الا الخليفة ووزيره وذلك في يوم الاحتفال بفتح النيل اي جبر الخليج (الذي انطمس الآن وصار طريقاً للترامواي واضحى الاحتفال الآن معروفاً بموسم وفاء النيل).

شغفهم بالسفن وكثرتها

في العربية

فاهتمام العرب في ابان تمدنهم بالسفن الحربية وبصناعتها وبتفننهم في بنائها وتقويتها عاد عليهم بالفوائد الجليلة والارباح العظيمة فاتسع نطاق ملكهم ودوخوا الامم وصدوا غارتها وسادوا العالم اجيال فمهدوا بحاره لتجارتهم واسفارهم وسيروا فيها سفنهم العديدة فأثروا من تجارة البحار فقد كانت سفنهم تعد بالمئات وتحمل بها التجارة الى انحاء العالم فطافوا بحاره واكتشفوا طرقاً تجارية مهمة في البحر المحيط والهندي والاحمر لم يسبقهم اليها احد . ومن الادلة (اللغوية) على توسعهم في ذلك كثرة اسماء السفن عندهم فتجد غير ما تقدم منها عشرات من اسمائها لكل منها معنى خاص لشكل خاص من السفن نأتي هنا على شيء منها ليقف القارىء على حقيقة ذلك :

(المعبدة) هي السفينة المقيرة . (الزخارف) ما زين من السفن . (الصلغة) السفينة الكبيرة . (الآمد والآمدة) السفينة المشحونة . (الجراب والخن والجفاية) السفينة الفارغة . (القادس) السفينة العظيمة . (المزراب) السفينة الطويلة او العظيمة . (القرقور) الطويلة او العظيمة (انظر القرقورص ٦) . (السكار) سفينة منحدرة فيها طعام و (السكار والغارب والخليج) من السفن الصغار . (الدسراء) السفينة جمعها دسر وهي التي تدسر الماء بصدرها كما في كتابه المجيد . (النهبوغ) السفينة الطويلة السريعة الجري البحرية ويقال لها الدونيج معرب دونى . (الخلية) السفينة العظيمة او التي تسير من غير ان يسيرها الملاح او التي يتبعها زورق صغير . (الزبزاب) قال

(١) المقريزى جزء ٢ صحيفة ١٩٥ من طبعة بولاق .

ياقوت سفينة صغير قال الشاعر :

زبزاب تحكي اذا سيرت * عقاب تجري على زيبق

سفينة (زبزبة) ضخمة . (المصباب) السفينة وانشد للهذلي :

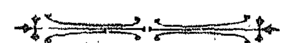
والجن لم تنهضن بما حملتني * ابدا ولا المصباب في الشرم

(العدولي) سفينة منسوبة الى قوية بالبحرين يقال لها عدولي والخلية دون العدولي . (الهرهور) ضرب من السفن الخ ومن اسماء السفينة ايضاً (الفلك) و (الماجشون) و (السابحات) و (العجوز) و (الجفل) و (الجارية) وغيرها مما يضيق المقام عن سردها ومن اراد التوسع في ذلك فليراجع كتب اللغة كالمخصص وتاج العروس ولسان العرب وقاموس دوزي الفرنسي (تكملة المعجمات العربية) او قاموس لين اللغوي الانكليزي .

فترى ان بعض اسماء هذه السفن معربة كالماجشون والدونيج (النهبوغ) معرب دوني الفارسية اخذها العرب عن الفرس في الاسلام كما اخذوا اسماء بعض السفن الحربية السالفة الذكر عن الامم المجاورة لهم كما يلاحظ ذلك من اسمائها فان بعضها لاتيني أو يوناني كالبروكوس والشلندي فان اصله في اللاتينية Chelandium وبعضها هندي كالبوارج [1] مأخوذ من لفظة (بيره) كما تقدم في الصحيفة الحادية عشر .

ويصح ان يكون بعض اسماء هذه السفن في اللغة العربية أثر من اسفار اليمنيين وسياحاتهم التجارية البحرية فانهم كانوا اهل ملاحة عظيمة كما سترى في الفذلكة التي تلي هذا الفصل .

والخلاصة ان سبب كثرة اسماء السفن في اللغة العربية نتيجة شغفهم بصناعتها واعتنائهم بها واتساع نطاق بحريتهم في الاسلام .



(١) جمع بارجة وهي التي ضربوا بها المثل في الشر قال صاحب المخصص « البارجة سفينة من سفن البحر تتخذ للقتال وتقول ما فلان إلا بارجة تريد انه جمع فيه الشر »

فذلكة تاريخية

عن

سفن الاسطول الاسلامي

نختم كلامنا على سفن الاسطول الاسلامي وانواعها ومعداتها بلمحة تاريخية عنها وعن انشائها وصناعتها في الاسلام . فقد تبين لنا مما سبق انها تقلبت في ادوار كثيرة وتطورت صناعتنا في اطوار عديدة تبعاً لسنة النشؤ والارتقاء . فقد بدأت الحاجة اليها مع بدىء الدولة فنشأت صغيرة الحجم قليلة المعدات والقوة ثم اخذت صناعتها تتقدم وتتسع مع تقدم الدولة واتساعها واختلاط اهلها بالامم المجاورة لها فاقتبسوا عن تلك الامم ما لها من ضروب الصناعة فبنوا السفن اولاً على امثلة سفنهم ثم عدلوها بعد ذلك وتفننوا في صناعتها وزادوا في معداتها واتقانها لما بلغت دولتهم اوج الكمال وازدهى تمدنهم بانوار العرفان .

السفن قبل الاسلام

فالعرب قبل الاسلام يجهلون ركوب البحار لبداوتهم فلم يكن لهم من السفائن الا ما كان لحمير وسبأ في ايام التبابعة لانهم كانوا اهل ملاحة وتجارة عظيمة (١) في البر والبحر . أما عرب الحجاز فانهم كانوا يخافون البحر ولا يجسرون على ركوبه الى وقت ظهور الاسلام . الا ان الاعراب منهم ظلوا على كرهه والخوف منه حتى بعد

---

(١) وذلك لتوسط بلاد اليمن بين امم العالم القديم فكان اهلها واسطة عقد التجارة من اقدم ازمنة التاريخ . وكان بينهم وبين الهند علائق تجارية لايعرف اولها . وكان للهنود محصولات ومصنوعات يحتاج اليها المصريون والاشوريون والفينيقيون وغيرهم . وكان اليمنيون ينقلون هذه المتاجر الى تلك الامم في سفن البحر او قوافل البر . وكان على شواطئ اليمن فرض ترسو عندها السفن القادمة من الهند او وادي الفرات كما ترسو اليوم سفن انكلترا وغيرها عند عدن في اثناء اسفارها بين اوربا والهند وكان لهم فرضة اسمها «موزا» يبنون فيها السفن الكبرى لقطع الاوقيانوس الهندي . ولهذا السبب عمرت جزيرة سوقطرة يومئذ لتوسطها في طريق تلك التجارة كما عمرت مالطة في البحر الابيض المتوسط لمثل هذا السبب . ومن الفرض التجارية المشهورة في اليمن في ذلك العهد « عدن » و« قانا » (حصن غراب) و « ظفار » و « مسقط » كانت ترسو عندها السفن الصاعدة في خليج فارس الى بابل .

الاسلام . يدلك على ذلك ما روي من ان الوليد بن يزيد استعمل الاسود بن بلال المحاربي على بحر الشام فقدم عليه اعرابي من قومه ففرض له واغزاه البحر . فلما اصابت البدوي تلك الاهوال قال شعراً منه :

فلله رأي قادني لسفينـة ... واخضر موّار السرار يمور
ترى متنه سهلاً اذا الريح اقلعت ... وان عصفت فالسهل منه وعور
فيـا ابن بلال للضلال دعوتني ... وما كان مثلي في الضلال يسير
لئن وقعت رجلاي في الارض مرة ... وحان لاصحاب السفين وكور
وسلمت من موج كأن متونه ... حراء بدت اركانه وثبير
لتعرض اسمي لدى العرض حاقة ... وذلك ان كان الاياب يسير
وقد كان لي حول الشربة مقعد ... لذيذ وعيش بالحديث غرير

وذلك شأن البدو الى ايامنا هذه .

السفن الحربية بعد الاسلام

فلما جاء الاسلام وامتدت فتوحاته وخفقت اعلام المسلمين على سواحل سوريا ومصر وغيرها وشاهدوا سفن الروم وراوا حروبهم فيها ابتدأت عندهم فكرة الغزو في البحر وتاقت انفسهم الى انشاء السفن الحربية . فكان اول مسلم ركب البحر للغزو منهم هو العلاء بن الحضرمي الصحابي الجليل . وكان ذلك من جهة الشرق في الخليج الفارسي من عمان والبحرين . واول من ركب بحر الروم (البحر الابيض المتوسط) منهم فهو معاوية بن ابي سفيان حينما كان عاملاً على الشام في خلافة عثمان بن عفان .

ولما لم يكن للعرب معرفة بالملاحة في ذلك الوقت استخدموا اولا من كان في حوزتهم من الروم وفيهم أهل الصناعة والنواتية . فانشأوا لهم السفن والشواني على امثلة سفن وشواني الروم (ومن ذلك نعلم ان الشواني هي قدم انواع السفن الحربية التي عرفها المسلمون والتي اهتموا بصناعتها واكثروا من تعدادها فكانت اهم القطع لديهم في حروبهم في بحر الروم حتى ايام الدولة الفاطمية ودولتي المماليك في مصر ودول المغرب والاندلس) .

ولما استقر الملك للعرب وتقرب كل ذي صنعة اليهم بمبلغ صناعته اكثروا من انشاء السفن وركوب البحار فملأوا بحر الروم من الجواري المنشئات التي تميزت اسماءها وتفاوتت في اشكالها واجرامها . فلقد انشأ معاوية من السفن والشواني عدداً عظيمة مجهزة بالرجال والاسلحة والذخائر غزا بها قبرص وغيرها .

ولما تكررت ممارستهم للبحر وثقافته وراق لهم الغزو فيه ازدادوا رغبة في غزوه فجعلوا ذلك في اوقات معينة من الصيف والشتاء

وكانوا قبل ذلك قد انشأوا دور الصناعات [1] لعمل السفن واعداد معداتها واختصوا بذلك من ممالكها ماكان اقرب لبحر الروم وعلى حافته كالشام ومصر وتونس وغيرها لتصد اساطيلها غارات الروم وغيرهم من امم اوربا .

ثم تفننوا في عمل السفن البحرية واحكامها واهتم بذلك الخلفاء وتابعهم الامراء فكان اول من اجرى في البحر كما تقدم السفن المقيرة (التي طليت بالقار وهو الزفت) المسمرة (التي سمرت بالمسامير والسمرية ضرب من السفن) غير المخروزة المدهونة (التي طليت بالدهن) والمسطحة غير ذوات الجآجيء هو الحجاج بن يوسف .

بناء السفن الاسلامية

وكان المسلمون يبنون بعض سفنهم في دور الصناعات على اشكال الطيور ويسمونها باسمائها . فيجعلون رأس السفينة أو مقدمتها على شكل طير من الطيور كما تقدم في الكلام على الاغربة (ج • غراب) أو يصنعونها على اشكال الاسماك كالبطس فانها اسم نوع عظيم من السمك أو على اشكال الحيوانات البحرية الاخري وكان هذا هو الغالب عندهم . واخص هذه الحيوانات هو الحوت فقد كانوا ينشئون اكثر سفنهم البحرية والتجارية على مثاله ويتحدون شكله كما ذكر ذلك العلامة ابن خلدون في مقدمته عند كلامه على صناعة النجارة فقد قال : « كذلك قد يحتاج الى هذه الصناعة (اي النجارة) في انشاء المراكب البحرية ذات الالواح والدسر وهي اجرام هندسية صنعت على قالب الحوت واعتبار سبحه في الماء بقوادمه وكلكله ليكون ذلك الشكل اعون لها في مصادمة الماء وجعل لها عوض الحركة الحيوانية التي للسمك تحريك الرياح وربما أعينت بحركة المقاذيف كما في الاسطول » . بل بلغت مقدرتهم في الصناعة أن بنوها على

---

(١) كانت دور الصناعة في بلاد الاسلام كثيرة في الاندلس وافريقيا (تونس وما جاورها) والشام ومصر . واول تأسيس دار الصناعة كان في جزيرة مصر (جزيرة الروضة) في سنة ٥٤ هجرية ثم عني احمد بن طولون في توسيعها وتحسينها ثم نقلت الى الفسطاط في ايام الاخشيد في اول القرن الرابع للهجرة حتى لا يكون بينها وبين الفسطاط بحر ثم انشا الفاطميون داراً للصناعة في المقس بقرب مدينتهم (القاهرة) . اما تونس فاول دار للصناعة بنيت فيها كانت في عهد عبدالملك ابن مروان لما كان عامله على افريقية حسان بن النعمان . ثم كثرت دور الصناعة بعد ذلك في لاندلس والشام وغيرها .

اشكال مختلفة كالفيل والاسد والعقاب والحية والفرس كما تقدم في الكلام على الحراقة وكانوا ينقشونها من الداخل والخارج بما امتازوا به من دقة الصنع وبهاء الشكل .

السفن والنار اليونانية

وكانوا يستعملون في حروبهم البحرية النار اليونانية وهي في الاصل من اختراع المشارقة فقد كان هؤلاء يستخدمون في حروبهم مزيجاً سريع الاشتعال لم يعرفه اهل اوربا الا في القرن السابع للميلاد . والمخترع له على ما ذكره المؤرخ جيبون هو رجل من بعلبك يسمى كالينيكوس نقله اليهم . وكان الروم يومئذ في ابان حاجتهم اليه ليردوا به هجمات العرب عن القسطنطينية وغيرها . وبالغ الروم في كتمان اسماء المواد التي يتألف منها ذلك المزيج فظل امر هذه النار مكتوماً حتى اطلع عليها العرب فاذا هي مزيج من الكبريت وبعض الراتنجات والادهان في شكل سائل يطلقونه من اسطوانة نحاسية مستطيلة كانوا يشدونها في مقدم السفينة فيقذفون منها السائل مشتعلاً او يطلقونه بشكل كرات مشتعلة أو قطع من الكتان الملوث بالنفط فيقع على السفن فيحرقها . وكانت هذه النار تشتعل في الماء والهواء كالنفط (١) وتدمر ما تنصب عليه ولذا سميت أيضاً « النار البحرية » .

وفي المكتبة الاهلية بباريس مسودة خطية قديمة عليها صور رجال من العرب بعضهم على الخيول والبعض مشاة وفي ايديهم خرق مبسوسة بالنار اليونانية يرمون بها الاعداء .

رئاسة الاساطيل

ولما تعددت دور الصناعات على شواطىء بحر الروم الذي جعلوه مقراً لاساطيلهم كانت كل دار تبني اسطولاً عليه قائد ورئيس . فالقائد يدبر امر سلاحه وحربه ومقاتلته والرئيس (٢) يدبر امر جريه بالريح او المقاذيف ومعرفة مسالك البحر وطرقه بواسطة الرهنامج (٣) فاذا اجتمعت الاساطيل لغزو أو لغرض آخر عسكرت بمرفئها المعلوم

---

(١) قال ابو الحسن بن سعيد يصف نار النفط على الماء مما هو قليل في الشعر العربي :

اطار النفط فوق الماء ناراً ... قد اصلي لتكميل الهياج
ارى شفقا يلوح على سماء ... كما ذاب العقيق على الزجاج

وقال اسعد بن ابراهيم بن بليطه من شعراء الاندلس :

والنفط مهما افترقوه فاعرا ... اجرى لسان النار فوق الماء
فكأنه ذهب جرى في صارم ... او رجع رق في اديم سماء

(٢) الرئيس يصح ان يقال فيه ريس كما عند العامة الآن (انظر تاج العروس)

(٣) الرهنامج كتاب الطريق وهو الكتاب الذي يسلك به الربانية البحر ويهتدون به في معرفة

وجعلوا النظر فيها كلها لامير واحد من اعلى طبقات المماليك وهو الذي كان يلقب بامير البحر او أمير الماء وهذا اللقب هو أصل كلمة (Amiral) الافرنجية كما سبق .

البحرية الاسلامية والشرق الاقصى

ولما اتسع نطاق ملكهم في الشرق واختلطوا بالهنود بافتتاحهم السند وما جاورها من الاقاليم الهندية اخذوا عنهم صناعة البوارج وهي السفن الهندية العظيمة السالفة الذكر وصاروا يستعملونها في المحيط الهندي وبحر فارس لمحاربة الهنود وقرصانهم وقد اتقن العرب صناعتها ورقوها بما ادخلوه عليها من التحسين حتى تمكنوا بها من الانتصار على الهنود وصد غاراتهم في مواقع عديدة .

ولذلك العهد كان المسلمون قد فتحوا اكثر البلدان الشرقية ومهدوا بحارها ولا سيما بين الهند وبغداد واتسع نطاق تجارتهم فيما وراء البحار بالشرق الاقصى . فكثرت مخالطتهم للصينيين [1] الذين اقتدوا بهم في بعض اعمالهم الحربية والبحرية بعدما شاهدوا سفنهم الحربية والتجارية التي وصفوها في رحلاتهم . واحسن من وصفها وضبطها الرحالة ابن بطوطة فقد وصف ما رآه منها وصفاً مدققاً في الجزء الثاني من رحلته صحيفة ١١٢ وتجد بالمقارنة ان بينها وبين سفن الاسطول الاسلامي مشابهة في صناعتها واصنافها وكثرة قلوعها ووصفه « للمصارى » يشبه وصف عبد اللطيف البغدادي « للعشاري » السالف الذكر ويجمل بنا نقل مثال منه لان الذين دونوا اخبار السفن الصينية الحربية وغيرها في عهد التمدن الاسلامي قليلون وقد كان شاهد عين قال :

«ومراكب الصين ثلاثة اصناف الكبار منها تسمى « الجنوك » واحدها جنك والمتوسط تسمى « الزو » والصغار يسمى احدها « الككم » ويكون للمركب الكبير منها اثنا عشر قلعاً فما دونها الى ثلاثة . وقلعها من قضبان الخيزران منسوجة كالحصر لا تحط ابداً ويديرونها بحسب دوران الريح . واذا ارسوا تركوها واقفة في مهب الريح ويخدم في المركب منها الف رجل منهم البحرية ستمائة ومنهم اربعمائة من المقاتلة تكون فيهم الرماة واصحاب الدرق والجرخية (وهم الذين يرمون بالنفط) ويتبع كل مركب كبير منها ثلاثة النصفي والثلثي والربعي ولا تصنع هذه المراكب الا بمدينة الزيتون من الصين

المراسي وغيرها

(١) واقوى برهان على استمرار تنقلاتهم في تلك الانحاء حتى جزائر اليابان كثرة عدد الذين اعتنقوا الاسلام من اهالي الصين وعلى الاخص سكان جنوبها . واهالي جزائر الفيليبين وجزائر الهند الصيني وغيرها

او بصين كلان وهي صين الصين . وكيفية انشائها انهم يصنعون حائطين من الخشب يصلون ما بينهما بخشب ضخم جداً موصولة بالعرض والطول بمسامير ضخام طول المسمار منها ثلاثة اذرع فاذا التأم الحائطان بهذه الخشبة صنعوا على اعلاهما فرش المركب الاسفل ودفعوهما في البحر واتموا عمله ويبقى ذلك الخشب والحائطان موالية للماء ينزلون اليها فيغتسلون ويقضون حاجتهم . وعلى جوانب ذلك الخشب تكون مجاذيفهم وهي كبار كالصواري يجتمع على احدها العشرة والخمسة عشر رجلاً ويجذفون وقوفاً على اقدامهم ويجعلون للمركب اربعة ظهور ويكون فيه البيت والمصارى والغرف للتجار . والمصرية منها يكون فيها البيوت والسنداس وعليها المفتاح يسدها صاحبها ويحمل معه الجواري والنساء . وربما كان الرجل في مصريته فلا يعرف به غيره ممن يكون بالمركب حتى يتلاقيا اذا وصلا بعض البلاد والبحرية يسكنون فيها اولادهم ويزرعون الخضر والبقول والزنجبيل في احواض خشب . ووكيل المركب كانه امير كبير واذا نزل الى البر مشت الرماة والحبشة بالحراب والسيوف والاطبال والابواق والانفار امامه واذا وصل الى المنزل الذي يقيم به ركزوا رماحهم عند جانبي بابه ولا يزالون كذلك مدة اقامته . ومن اهل الصين من تكون له المراكب الكثيرة يبعث بها وكلاءه الى البلاد وليس في الدنيا اكثر اموالاً من اهل الصين » انتهى كلام ابن بطوطه

السفن الحربية النهرية

وفي ذلك العهد استعملوا في حروبهم النهرية انواعاً كثيرة من السفائن الحربية والنقلية فمما استعملوه في دجلة والفرات : الشذوات والسميريات والصلاغ والمعابر (١) والشبارات (ج شبارة) وقد مرّ ذكرها والسنابيك(٢) وقد اشتهر بعضها في حروبهم مع الزنج في العراق . ولما امتدت فتوحاتهم في افريقيا الى ما بعد الصحراء الكبرى أخذوا يرسلون انواعاً من هذه المراكب مفككة على الجمال (سفن الصحراء) الى نهر النيجر لاستعمالها هناك .

(١) المعابر نوع من السفن الصغيرة تعبر فيها العساكر من شاطىء الى شاطىء او من مكان الى مكان وكذلك (الصلاغ) كانت تستعمل للنقل ايضاً .

(٢) السنابك (جمع سنبوك او صنبوق) وهو القارب او الزورق الصغير وفي تاج العروس انه يعمل في ساحل البحر. قال وهي لغة جميع سواحل بحر اليمن . وفي شفاء الغليل : « السنبوك سفينة صغيرة يستعملها اهل الحجاز وعبر به في الكشاف وقيل من سنبك الدابة على التشبيه ولم نره في كلامهم قديماً » فهو من ملحقات السفن الكبيرة . ولا بد لكل اسطول من امثال هذه السفن الصغيرة تتبعه . وتستعمل في البحار والانهار .

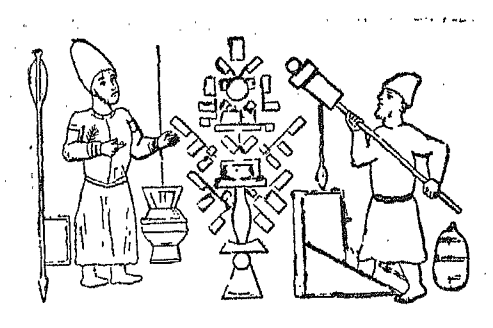
وصار المسلمون في هذه الاوقات سلاطين البحار كما كانوا سلاطين البر فقد بلغت المراكب الحربية في مصر وحدها في ايام المعز لدين الله الفاطمي ٦٠٠ قطعة كأنها الغاب من الصواري والكماة فيها الاسود . وكانت اساطيلهم في غاية المنعة تجوب البحار ذاهبة آيبة باحسن ما يكون من الزي .

اختراع البوصلة والبارود

ولما تقدموا في الحضارة والعرفان اخترعوا من الصناعات الهامة للسفن والاساطيل ما يذكر لهم بمزيد الاعجاب منها : بيت الابرة (البوصلة) التي سهلوا بها الاسفار البحرية وتقدم بها فن الملاحة ولم يقتصروا على استعمالها في السفن فقط بل استعملوها ايضاً في اسفار البر وضبط محاريب الصلاة . ومنها (صناعة بارود المدافع والاسلحة النارية) التي سبقوا جميع الامم الى استخدامها . وقد ذكر مؤلفو العرب والافرنج من الشواهد الصريحة ما يدل على ان البارود كان معروفاً عند العرب وكانوا يستخدمونه في حروبهم قبل الزمن الذي يقول الافرنج ان شوارتز اكتشفه فيه . وقد وصف العرب تركيبه بما يشبه تركيبه الآن وذكر المستشرق كوندي الاسباني المتوفي سنة ١٨٢٠ م ان اهل مراكش استخدموا الاسلحة النارية في محاربتهم سرقوسة سنة ١١١٨ للميلاد والشائع ان العرب استعملوه سنة ٩٠٦ م وكانوا يسمونه « الثلج الهندي » وهم الذين نقلوه الى الاندلس ومنها أخذه الافرنج وقد استعمله العرب في محاصرتهم جزيرة صقلية سنة ٦٧٢ هـ وفي محاربة الاسبان سنة ١٢٤٩ م ثم استخدمه صاحب غرناطة في حصار باجة سنة ١٣١٢ م و١٣٢٥ م ثم نقله عن العرب في القرن الثالث عشر للميلاد روجر باكون الانكليزي (سنة ١٢١٤ — ١٢٩٤ م) وغيره من الكيماويين . اما الافرنج فاستخدموه اولاً في واقعة كريسي [1] سنة ١٣٤٦ م وهذه منحة عظيمة قدمها العرب لاوربا . وفي مكتبة بطرسبورج مسودة عربية قديمة فيها صورة رجلين من العرب يشتغلان في الاسلحة النارية (ش ٥) احدهما الى اليمين يحمل ما يشبه البندقية وفيها القنبلة والبارود داخلها وقد ادناها من لهيب امامه حتى يولع البارود ويقذف القنبلة .

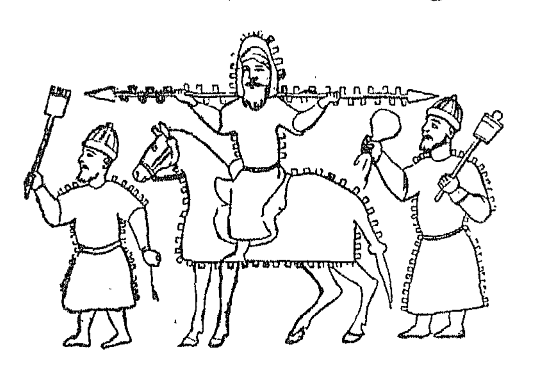
---

(١) هي المحاربة التي وقعت بين فرنسا وانكلترا في كريسي Crecy وهي في شمالي باريس فوق نهر صوم Somme فكان ملك الانكليز ادوارد الثالث يقود العساكر هو وابنه البرنس دوغال وكانوا مسلحين بالقوس والنشاب ومعهم بعض المدافع التي ظهر استعمالها في ذلك الوقت فغلب الانكليز مع قلة عددهم بسبب الانتظام والترتيب العسكري . فهذه اول محاربة بين الافرنج في اوروبا استعملت فيها المدافع .



(ش ٥) اختراع العرب للاسلحة النارية

وهناك ايضاً صورة فارس (ش ٦) يحمل قناة ملفوفة بقماش ذات اهداب لتلت بالنفط وترمى على الاعداء حين الاقتضاء . وبجانبي الفارس رجلان ماشيان وعلى بدنيهما وبدنه وبدن فرسه نسيج ذو اهداب يستخدم للنفط عند الحاجة .



(ش ٦) ادوات النفط

وفي ايام صلاح الدين انشىء للاساطيل ديوان خاص سموه « ديوان الاسطول[1] » وسلمه لاخيه الملك العادل وعينوا الاموال الطائلة للنفقة عليه. ثم صار بعد ذلك لكل مركب من مراكبه ضريبة لما يحتاج اليه من عمارة وقواد ورماة وجذافين وزاد . [2]

الخاتمة

وما زالت قوة الاسلام في البحر غالبة وكلمته هي العليا حتى خرجت صقلية من

---

(١) كان هذا الديوان يشبه ما كان معروفاً في ايام محمد علي باشا « بديوان البحرية » وما هو معروف بديار اوروبا « بنظارة البحرية » وهو الآن صفر في مصر لا عين له ولا اثر.

(٢) قوانين الدواوين لابن مماتي .

يدي المسلمين وكانوا قبل ذلك قد افتتحوا كل جزائر البحر الابيض المتوسط ومهدوا كورسكه وسردانية (سردانيا) واقريطش (كريد) وقبرص وميورقة ومينوفة ويابسة ومالطة. وتطرقوا الى البر الشمالي ودخلوا فرنسا وشادوا القلاع والحصون وهزموا الفرنسيين والايطاليين واقاموا في بلادهم مدة.

وبقيت السفن الاسلامية ملكة البحر المتوسط حتى ادرك دولة بني أمية بالاندلس والعبيديين (الفاطميين) بمصر الفشل فتقوت الامم التي وراء البحر شيئاً فشيئاً واسترجعت بعض جزرها وموانيها بعد ان افاقت من سباتها العميق بفضل تأثير التمدن العربي عليها وما اقتبسته عن العرب من العلوم والآداب وسائر الصناعات التي كانت سبباً في تأسيس نهضتها واحياء تمدنها.

ولما كانت الحروب الصليبية سيروا مراكبهم العديدة في البحار واستعمل الفريقان نوعاً من اشهر السفن البحرية واعظمها وهو «البطس» تلك السفن التي لم يرَ مثلها كبراً ووثاقة وحجماً. وفي ذلك الوقت بقيت القوة البحرية محفوظة عند ملوك المغرب ولا سيما في دولة الموحدين فقد كانت لهم قوة بحرية عظيمة وفي اثناء دولتهم نبغ احمد الصقلي قائد اساطيل المغرب في القرن السادس للهجرة. وانتهت اساطيل المسلمين في ايامه الى ما لم تبلغه قبله ولا بعده [1]. ومن بعد المرابطين والموحدين ضعفت قوة المسلمين في البحر الا ما كان لبعض ملوكهم في مصر والمغرب. وما زال الامر كذلك حتى ظهرت الدولة العثمانية فعظمت قوتها البحرية وبلغت سفنها النهاية من الكثرة والمنعة الى ان انحطت بحريتهم في القرن السادس عشر للميلاد. وبعد سقوط الجزائر ضعفت البحرية الاسلامية وتفنن الاوربيون في بناء المراكب واستعملوا البخار [2] وجروا على هذا النمط من الضخامة في البنـاء وشحنوا المراكب بالمدافع الكبيرة ودوخوا البحار

ولا شك في ان السفن الاسلامية كانت قدوة الاوربيين عند اول نهضتهم في انشاء سفنهم التي تقدمت بفضل التمدن الحديث.

---

(١) مقدمة ابن خلدون

(٢) لم يستعمل البخار في تسيير السفن الا منـذ قرن تقريباً . فان السفن ما زالت تجري بالريح الى اوائل القرن الماضي والعمارة التى جاء بها نابوليون بونابرت الى مياه الاسكندرية ثم حطمها نلسن في جون ابي قير كانت مسلحة بالمدافع ولكنها كانت شراعيـة . والامريكان اسبق الامم الى انشاء السفن البخارية فان اول سفينة سارت بالبخار انشأوها هناك سنة ١٨٠٧ وسموها كايرمون واما اوروبا فالانجليز اسبق دولها الى استخدام البخار في السفن . واول سفينة مخرت في مياه اوروبا بناها الانكليز في اسكوتلندا سنة ١٨١٢ وسموها كومت Comet.

ملحقات

الحراقة صفحة ٥

وردت ابيات في وصف الحراقة في ترجمة ابن خلكان لطاهر بن الحسين الملقب ذا اليمينين وهي : قال ابن خلكان « وكان (اي طاهر) شجاعاً اديباً وركب يوماً ببغداد في حراقته فاعترضه مقدس بن صيغي الخلوقي الشاعر وقد ادنيت من الشط ليخرج فقال ايها الامير ان رأيت ان تسمع مني ابياتاً فقال قل فأنشأ يقول :

عجبت لحراقة بن الحسـ ... ـين لا غرقت كيف لا تغرق(١)
وبحران من فوقها واحد ... وآخر من تحتها مطبق
واعجب من ذاك اعوادها ... وقد مسها كيف لا تورق

فقال طاهر اعطوه ثلاثة آلاف دينار وقال له زدنا حتى نزيدك فقال حسبي(٢) »
وورد وصفها ايضاً في مدائح ابي نواس للخليفة الامين بن الرشيد ومن مدائحه قصيدة بائية وصف بها حراقاته وقد ذكرنا بعضها وهاك بقيتها تكملة للوصف واتماماً للمعنى :

اسداً باسطاً ذراعيه يعدو ... اهرت الشدق كالح الانياب
لا يعانيه باللجام ولا السو ... ط ولا غمز رجله في الركاب
عجب الناس اذ رأوه على صو ... رة ليث يمر مر السحاب
تسبق الطير في السماء اذ ما ... استعجلوها بجيئة وذهاب

وقال من قصيدة أخرى :

قد ركب الدلفين بدر الدجى ... مقتحماً للماء قد لججا
فاشرقت دجلة من نوره ... واسفر الشطان واستبهجا
لم ترَ عيني مثله مركباً ... احسن ان سار وان عرجا
اذا استحثته مجاديفه ... اعنق فوق الماء او هملجا

وقال يمدحه :

ألا ترى ما اعطيَ الامين ... اعطيَ ما لم تره العيون
ولم تبلغه الظنون ... الليث والعقاب والدلفين(٣)

---

(١) وفي رواية « كيف تعوم ولا تغرق ». (٢) وفيات الاعيان ص ٢٣٦ ج ١
(٣) ديوان ابي نواس ص ١١٦ و ١١٧.

وانظر ايضاً ص ٢٦٥ من كتاب دوزى عن الكلمات الاسبانية والبرتقالية المشتقه من اللغة العربية (١) فقد اسهب في الكلام على الحراقة مما ضاق المقام عن ذكره هنا .

ملحق بالغراب صفحة ٧

ذكر الخفاجي الغراب في شفاء الغليل فقال : « الغراب لنوع من السفن مشهور في اشعار المحدثين لا سيما المغاربة ولا ادري هل هو على التشبيه او غلط في الترجمة قال ابن الساعاتي :

وركبت بحر الروم وهو كحلبة　　والموج تحسبه جياداً تركض
كم من غراب للقطيعة اسود　　فيه يطير به جناح ابيض

وقال ابن ابي حجلة :

غربانها سود وبيض قلوعها　　يصفر منهنّ العدوّ الازرق»

وقال ابن الأبار :

يا حبذا من بنات الماء سابحة　　تطفو لما شب اهل النار تطفئه
تطيرها الريح غرباناً باجنحة الـ　　ـحمائم البيض للاشراك ترزؤه
من كل ادهم لا يلفى به جرب　　فما لراكبه بالقار تهنؤه
يدعى غراباً وللفتخاء سرعته　　وهو ابن ماء وللشاهين جؤجؤه

وتجد في قاموس لاروس الفرنسي (Petit Larousse illustré) في مادة ملاحه Marine بيان مصور يمثل السفن البحرية من اقدم الازمنة الى عصرنا هذا فترى فيه شكل الغراب Galère عند قدماء المصريين واليونان والعرب ثم القرقور Caraque والقارت Corvette والطريدة Tartare وغيرها

وصف الاسطول

ولا بد لنا في النهاية من الالماع الى وصف شعراء العرب للاسطول وتغنيهم بسفنه فقد بلغوا في ذلك شأواً بعيداً لا سيما شعراء الاندلس والمغرب منهم . فمن ذلك قول ابو عمرو يزيد بن عبد الله بن ابي خالد الاشبيلي يصف الاسطول فاجاد ما اراد :

---

(١) Glossaire de mots Espagnols et Portugais derivés de l'Arabe . Par : R. Dozy et : le Dr. W. H. Englman, Leyde 1869

ويا للجواري المنشآت وحسنها طوائر بين الماء والجوّ عوّما
اذا نشرت في الجوّ اجنحة لها رأيت به روضاً ونوراً مكمما
وان لم تهجه الريح جاء مصافحاً فمدت له كفاً خضيباً ومعصما
مجاذف كالحيات مدت رؤسها على وجل في الماء كي تروي الظما
كما اسرعت عداً انامل حاسب بقبض وبسط يسبق العين والفما
هي الهدب من اجفان اكحل اوطف فهل صنعت من عندم او بكت دما

وقال ابوعبد الله بن الحداد يصف اسطول المعتصم بن صمادح :

هام صرف الردى بهام الاعادي ان سمت نحوهم لها اجياد
وتراءت بشرعها كعيون دأبها مثل خائفيها سهاد
ذات هدب من المجاذيف حاك هدب باك لدمعه اسعاد
حمم فوقها من البيض نار كل من ارسلت عليه رماد
ومن الخط في يد كل در ألف خطها على البحر صاد

وقال عبد الجليل بن وهبون يصف الاسطول :

يا حسنها يوماً شهدت زفافها بنت الفضاء الى الخليج الازرق
ورقاء كانت ايكة فتصورت لك كيف شئت من الحمام الاورق
حيث الغراب يجر شملة عجبة وكأنه من غرة لم ينعق
من كل لابسة الشباب ملاءة حسب اقتدار الصانع المتأنق
شهدت لها الاعيان أن شواهنا اسماؤها فتصفحت في المنطق
من كل ناشرة قوادم اجنح وعلى معاطفها وهادة سودق
زأرت زئير الاسد وهي صوامت وزحفن زحف مواكب في مأزق
ومجاذف تحكي اراقم ربوة نزلت لتكرع من غدير متأق(١)

ونختم هذا الباب بقصيدة هي من غرر القصائد لعلي بن محمد الايادي التونسي يصف اسطول القائم ومطلعها :

اعجب لاسطول الامام محمد ولحسنه وزمانه المستغرب
لبست به الامواج احسن منظر يبدو لعين الناظر المستعجب
من كل مشرفة على ما قابلت اشراف صدر الاجدل المتنصب
دهماء قد لبست ثياب تصنع تسبي العقول على ثياب ترهب

---

١ نفح الطيب ج ٢ ص ٣٧٤

من كل ابيض في الهواء منشر منهـاد واسحم في الخليج مغيب
كمراءت في البر يقطع سيرها في البحر انفاس الرياح الشذب
محفوفة بمجادف مصفوفة في الجـانبين دوين صلب صلب
كقوادم النسر المرفرف عريت من كاسيات رياشـه المتهدب
وتحثهـا ايدي الرجال اذا ونت بمصعد منه بعيد مصوب
خرقاء تذهب ان يد لم تهـدها في كل أوب للرياح ومذهب
جوفاء تحمل كوكباً في جوفها يوم الرهان وتستقل بمركب

ومن هذه القصيدة في ذكر الاشرعة

ولهـا جناح يستعار يطيرها طوع الرياح وراحة المتطرب
يعلو بها حدب العباب مطارة في كل لج زاخر مغـلولب
يسمو بآخر ذي الهواء منصب عريان منسرح الذؤابة شوذب
يتنزل الملاح منـه ذؤابة لو رام يركبها القطا لم يركب
تنصاع من كثب كما نفر القطا طوراً وتجتمع اجتماع الربرب
ولواحق مثـل الاهلة جنح لحق المطالب فائتات المهرب
يذهبن فيما بينهن لطافة ويجئن فعل الطائر المتغلب
وعلى كواكبهـا أسود خلافة تختال في عدد السلاح المرهب
فكأنما البحر استعار بزيهـم ثوب الجمـال من الربيع المذهب

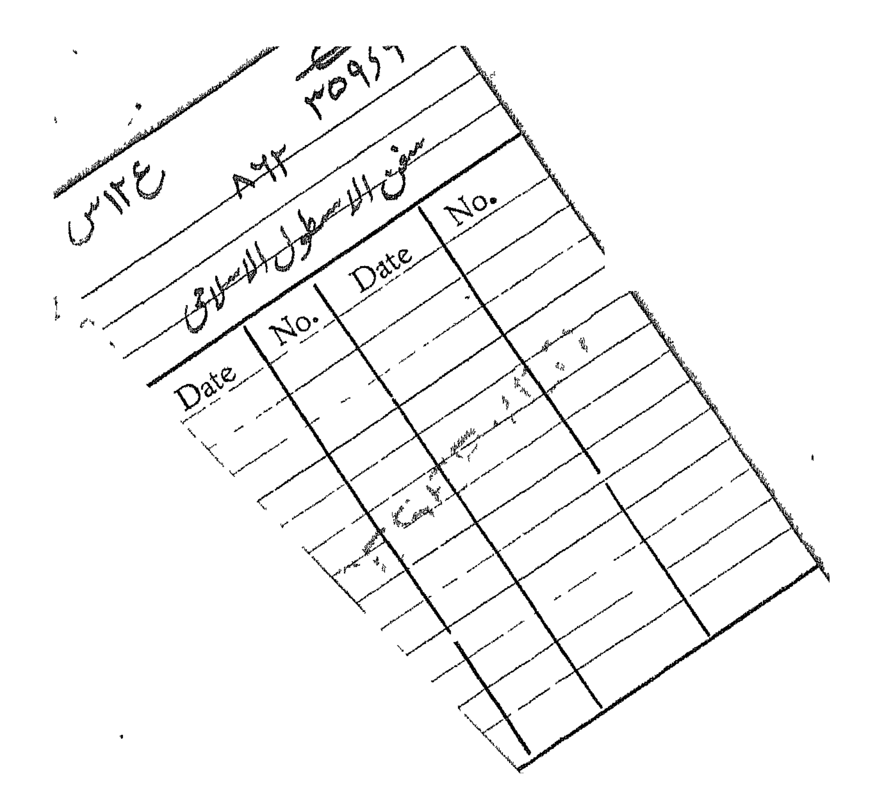
تم والحمد لله

فهرس الصور

فهرس الكتاب

الخطأ والصواب

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢	٥	حاضرتهم	حاضرتهم بها
٢	٨	الحادية والعشرون	الحادية والعشرين
٨	١	العصى	العصيّ
١١	١	اسطحة	اسطحا
١١	٢٨	العالم الشرفي	في العالم الشرقي
١٢	٢٩	مقتبس مجلد ٧ ص ٢	مقتبس مجلد ٧ ج ٢
١٣	٧	وهذه هو	وهذا هو
١٥	٧	تنطحها	تنطحها
١٦	٨	المواضيع الجيد	المواضيع الجيدة
١٩	٥	قوية	قرية
٢٠	١٣	يجهلون	كانوا يجهلون
٢٤	٢٨	وعلى الاهص	وعلى الاخص
٣٠	١٩	القارت	القارب


Date
No.
Date
No.